

الباب الثاني

الإطار النظري عن السّجع

أ- اللغة العربية وأهدافها

علم اللغة هو العلم الذي يدرس اللغة. وهو ينقسم إلى فرعين:

١- علم اللغة النظري. ويشمل هذا الفرع عدة علوم منها علم الأصوات وعلم الفونيمات وعلم اللغة التاريخي وعلم المعاني وعلم الصرف وعلم النحو.

٢- علم اللغة التطبيقي. ويشمل هذا الفرع عدة علوم منها تدريس اللغات الأجنبية والترجمة وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي.^١

واللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة والشريعة، أي إنها اللغة التي اختارها ربّ العالمين لتكون لغة الوحي لأهل الأرض جميعاً. ومن هنا كان على كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يهتم بها اهتمامه بعقيدة الإسلام التي يحرص عليها، وأن يعتز ويفضلها على لغات الأرض الأخرى؛ بما فيها لغته القومية.^٢ وهذا أهداف اللغة العربية يحسن بنا أن نوضح أهداف اللغة العربية، أي الأهداف المشتركة التي تهدف إليها فروعها مجتمعة، حتى إذا اتضحت أمامنا هذه الأهداف، حرصنا على تحقيقها حين تدريس كل فرع، ولم تشغلنا أهداف كل فرع عن الانتباه إلى أهمية أهداف اللغة العربية، وتحقيقها خلال تدريسنا. ومن هذه الأهداف ما يلي: تحسين أسلوب التعبير الكلامي والكتابي، تعود الفصحي في الحديث والكتابة، ضبط الحركات والسكنات لكل حرف، النطق السليم لحروف اللغة، نماء الثروة اللفظية، صحة الكتابة وجمالها، وتنمية اللوق

^١ الدكتور محمد علي الخولي، مرجع سابق، ص ١٧٠

^٢ نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٨)،

الادبي.^٣ إن لغة العربية هي لغة القرآن الكريم، لغة الجنة، لغة الله التي اختارها لكلامه يخاطب بها أهل الأرض، ولغة العقيدة، فهي لغة العربية تتناسب بقديسية العقيدة. وأحدها من أهداف لغة العربية هي ضبط الحركات والسكنات لكل حرف.

لما خشى أهل العربية من ضياعها، بعد أن اختلطوا بالأعاجم، ودونها في المعاجم، وأصلوا لها أصولاً تحفظها من الخطأ. وتسمى هذه الأصول "العلوم العربية". فالعلوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ. وهي ثلاثة عشر علماً: الصرف، والإعراب، والرسم، والعروض، والقوافي، وقرض الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة، والمعاني، والبيان، والبديع^٤ وتسمى هذا العلوم الثلاثة الأخيرة التي ذكرها باسم "البلاغة".

إنّ مباحثة البلاغة العربية في هذه المرحلة قد بلغت ذروة نضجها واكتمالها على يد الإمام الجليل عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" وأسرار البلاغة"، فقد تكاملت فيها المباحث البلاغية واستقرت للبلاغة ملامحها الأخيرة وبلغت أقصى ما قدر لها أن تبلغه من نضج واكتمال على امتداد تاريخها كله. لم يقدر للبلاغة العربية أن تتجاوز المدى الذي وصل إليه عبد القاهر الجرجاني . بل إنه لم يقدر لها أن تقف طويلاً هند هذا المدى من عمق البحث ورهافة التحليل ونضج التناول إذ لم تلبث أن انتكست في بداية القرن السابع الهجري على يد أبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) صاحب كتاب "مفتاح العلوم".

إستطاع السكاكي بعقليته المنطقية المنظمة أن يقنن البلاغة العربية ويوهمها. ويخضعها للتقعيد، وأن محاولته هذه كانت من الدقة والصرامة بحيث تحولت بالبلاغة إلى مجموعة

^٣ عابر توفيق الهاشمي، *المدرس اللغة العربية*، (مؤسسة الرسالة، ١٩٧١)، ص. ١٦-١٧

^٤ الشيخ مصطفى الغلاييني، مرجع سابق، ص. ٧٠

من القوانين الجامدة. والقواعد الجافة والتقسيمان الصارمة التي تشبه على حد كبير قواعد النحو والصرف والعروض. وقد أثر السكاكي بطريقته وكتابه التأثير حتى العصر الحاضر.^٥

ب- علم البلاغة

البلاغة لغة: تنبىء عن الوصول والإنهاء، وأما في الإصطلاح تقع وصفا للكلام والمتكلم.^٦

١- بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته. ومقتضى الحال مختلف؛ فإن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، و مقام التقديم مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصر يبين مقام خلافه، و مقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإعجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي.^٧

٢- بلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في أي غرض كان.^٨ بلاغة المتكلم هي ملكة في النفس يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده. وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خيرا وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم، ومفاجراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم، ليلبس لكل حالة لبوسها (ولكل مقام مقال).^٩

^٥ الدكتور اندوس الحاج أحمد باحميد لسانس ادا، *دروس البلاغة العربية*، (جاكرتا: راج غرافيندا

فرسادا، ١٩٩٦)، ص. ٢٣

^٦ السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص. ٢٥

^٧ الخطيب القزويني، مرجع سابق، ص. ١١-٢١.

^٨ شكري أنس، مرجع سابق، ص. ٣-٩.

^٩ السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص. ٢٥

يعرف التنافر بالذوق. تعرف مخالفة القياس بالصرف. يعرف ضعف التأليف والتعقيد اللفظي بالنحو. تعرف الغرابة بكثرة الإطّلاع على كلام العرب. يعرف التعقيد المعنوي بالبيان. تعرف الأحوال ومقتضياتها بالمعاني. ويجب على طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان مع كونه سليم الذوق كثير الإطّلاع على كلام العرب.^{١٠} ويبحث علم البلاغة في كتاب بلاغة الواضحة كما يلي:

أما البلاغة تأدية معنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون. فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللممارسة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاترة، ولا بد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب، والتملؤ من نميره الفيض، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينها، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسنا وبقبح ما يعده قبيحا.

وليس هناك من فرق بين البليغ والرسام إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يشاكل بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء، فالرسام إذا همّ برسم صورة فكّر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأليف هذه الألوان بحيث تختلّب الأبصار وتثير الوجدان، والبليغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة أو خطبة فكّر في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم، فربّ كلمة حسنت في موطن ثم كانت نابية مستكرهة في غيره.^{١١} والبلاغة طرفان: أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل منه تبتدىء، وهو ما إذا غير الكلام

^{١٠} شكري أنس، مرجع سابق، ص. ٩.

^{١١} علي جارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، (سورابايا: مكتبة الهداية، ١٩٦١)، ص. ٥-١٦.

عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب. وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة. وقد علم بما ذكرنا أمران أحدهما: أن كل بليغ، كلاما كان أو متكلمًا، فصيح، وليس كل فصيح بليغًا، الثاني: أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره، والثاني: أعني التمييز منه ما يتبين علم متن اللغة، أو التصريف، أو النحو، أو يدرك بالحس. وهو ما عدا التعقيد المعنوي.^{١٢} وقد نظر البلاغيون إلى فوائد علم البلاغة كن جهات ثلاثة:

- (١) الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه فيحتذوا حذوهما.
- (٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به، من حسن التأليف وبراعة التراكيب، وما اشتمل عليه من عذوبة، وجزالة، وسهولة وسلامة.
- (٣) إدراك فصل الخطاب. فإنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين وتخفيف المثونة على المستمعين، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عنهم - كنت قد أوتيت فصل الخطاب.^{١٣}

سارت علوم البلاغة والنقد وسواها مسارها الطبيعي من العصر الجاهلي، وكذلك بعد ظهور الدعوة الإسلامية وما رافق نزول الوحي من جدل، وبوادر معارضة القرآن الكريم من قبل بعض المهووسين الموثورين أمثال مسيلمة، وسجاح التميمية، وذلك المتكبر الجاحد الوليد ابن المغيرة الذي أثر عنه قوله: ((والله إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغرق، وإن أعلاه لمورق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول البشر)) مع هذا لم يسرع التغيير في عملية تدوين العلوم كافة في العصر الإسلامي، إلى أن كان العصر العباسي، ودخول الكثير من أبناء الأمم في الإسلام، وبروز الحاجة إلى تركيز

^{١٢} الخطيب القزويني، مرجع سابق، ص. ٢١

^{١٣} إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس اللغة العربية، الطبعة الثانية، (القاهرة: حقوق الطبع

القواعد والأسس التي لم يكن العربي في حاجة إليها، لأنه ريب تلك البيئة السليمة اللسان، الصحيحة النطق، فلا حاجة لمعرفة حركات أواخر الكلمات لمعرفة العامل، أو ما نعرفه اليوم محلها من الإعراب، ولكن، اتساع رقعة الدولة، وتشعب العلوم، وانتشار الآراء النقدية، واختلاف الموافق منها. إلى غير ذلك من الأسباب، كل ذلك دفع المهووبين من أبناء الأمة إلى التفكير بجمع شتات الملاحظات النقدية، والآراء المختلفة، واستخراج ما يمكن استخراجه من نظريات شاملة جامعة قدر المستطاع، وصولاً إلى تقعيد هذه النظريات وتقنينها، فكانت بواد علوم البلاغة مع بزوغ شمس القرن الثالث، وقد كان لكل طائفة من العلماء إسهام في ارساء قواعد العلوم التي تخدم علوم القرآن، من هذه الطوائف المفسرون، أمثال أبي عبيدة (٢١٠ هـ) وابن قتيبة (٢٧٠ هـ)؛ والمتكلمون، أمثال الجاحظ (٢٥٠ هـ) وأستاذه النظام، وقد كان لكل منهم موقف وقد شايعه عليه آخرون لا مجال لذكرهم، ثم تأتي طائفة النحاة وكان إمامهم ابن جنى، وأخيراً وليس آخراً الفقهاء والأصوليين الذين كانت لهم جهود بلاغية، ومن أمثلة أعمالهم ما ذكره الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) في "الأم"، وكل ذلك واضح من أنواع التفاسير التي وضعوها خدمة للكتاب الكريم.^{١٤} وأنواع البلاغة كما يلي:

- أ- علم المعاني هو ما يحتز به عن الخطاء في تأدية المعنى.^{١٥} وينقسم إلى ستة البحوث: وهي الخبر والإنشاء، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب والمساواة.
- ب- علم البيان هو ما يحتز به عن التعقيد المعنوي.^{١٦} وينقسم إلى ثلاثة البحوث: وهي التشبيه، والمجاز، والكناية.
- ج- علم البديع هو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام من بلاغته.^{١٧}

^{١٤} الإمام يوسف السكاكي، *مفتاح العلوم*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ص. أ-ج.

^{١٥} علم الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني *حسن الصياغة "شرح دروس البلاغة"* (رمباغ جاوة

الوسطى: البركة، ٢٠٠٧)، ص. ١٣٦.

^{١٦} علم الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني، *المرجع نفسه*، ص. ١٣٦.

ج- علم البديع وتعريفه

البديع لغة (بدع): بدع الشيء يبدعه بدعا وابتداعه.^{١٨} لغة المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشيء، وأبدعه اخترعه لا على مثال. واصطلاحاً هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالاته على المراد.^{١٩} البديع لغة المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشيء، وأبدعه اخترعه لا على مثال. واصطلاحاً هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالاته على المراد.^{٢٠} وتعريف الآخر في كتاب بغية الإيضاح

علم البديع وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.^{٢١} أما من تكلموا في البلاغة لذاتها وهم الأكثرية العظمى من رجالها - كابن المعتز وقدامة والعسكري وابن رشيق وابن سنان وابن منقذ والتيفاشي وابن أبي الإصبع فقد تناولوا البديع تناولاً مسهباً واستكثروا منه حتى أضجروا به.^{٢٢} هذا العلم فضائل مشهورة، ومناقب معروفة، منها أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه، وفرط في التماسه ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوقه، عفى على جميع محاسنه؛ لأنه إذا لم يفرق

^{١٨} علم الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني، المرجع نفسه، ص. ١٣٦

^{١٩} الدكتور محمد عبد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"،

(لبنان: المؤسسة الحديث للكتاب، ٢٠٠٣)، ص. ٥٢

^{٢٠} السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص. ٢٥

^{٢١} السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص. ٢٥

^{٢٢} عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، (مكتبة الآداب، ١٩٩٠)، ص. ٣

^{٢٣} الدكتور عتبدك عبد العزيز قلقيلة، معجم البلاغة العربية نقد ونقض، (القاهرة: دار الفكر العربي،

بين كلام جيد وآخر رديء، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد، بان جهله ونقصه^{٢٣}.

وأما عبد القهار في القرن الخامس الهجري فقد وضع البديع موضعة الحقيقي من علم البلاغي حيث جعل بعض فنونه كالمزاوجة، والتقسيم، والعكس من النمط الأعلى من النظم، وقد سبق أن النظم هو أساس البلاغة التي تفرعت منها مسائل علم المعاني، وصور البيان، وقيم الجمال البلاغي المعنوية منها اللفظية - على حد سواء - وقد كانت ألوان البديع حتى عصر عبد القهار ومعاصره ابن سنان داخلة علم البلاغة من حيث الدراسة والتصنيف، بل إن بعض صور البيا - كالإستعارة والتمثيل - كانت معدودة - من قبلها في فنون البديع. والفرق بين علم البديع وعلمي المعاني والبيان عبي رأي الخطيب القزويني أن علمي المعاني والبيان يبحثان في صلب المعنى المراد، غير أن الأول منها يبحث من حيث مطابقته لمقتضى الحال، وأن الثاني يبحث من حيث تأديته بطرق مختلفة الوضوح في وضوح الدلالة على المعنى المطلوب المقصود. وأما علم البديع فيبحث المعنى أو اللفظ: من حيث تزيينه وتديجه وإلباسه ثوبا من البهجة و البهاء، يسترق السمع، ويستأسر اللب.^{٢٤}

فقدامة ابن جعفر وهو من معاصري ابن المعتز أولى البديع اهتمامه وزاد فيه تسعة أنواع جديدة. وأبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز فقدامة من فنون البديع وأضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة ولاين نوعا، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عندهم.

^{٢٣} عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ٤.

^{٢٤} عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، (بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس،

وهكذا أخذت فنون البديع تنمو وتتكاثر على تعاقب الأجيال والعصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلي مائة وخمسة وأربعين محسنا بديعيا.^{٢٥} والبديع منها المحسنات.

البديع دراسة المحسنات، والمحسنات كما يبدو من النسمية زخارف للكلام بتحقيق المعنى بدونها، ولكنه يحسن بها، وربما رجعت المحسنات إلى محاور كالمحورين اللذين ذكرناهما للبيان: الحقيقة والمجاز، والبعد والقرب. ومن الطبيعي أن ترتبط محاور البديع بالعلاقات الجمالية والطبيعية المجردة. ولعل هذا التوافق أهم هذه المحاور على الإطلاق، لأنه به يتعلق معظم المحسنات المعنوية واللفظية. فمن التوافق في المعنى:

- ١- الإحصاء، وهو أن يتقدم في الكلام ما يتفق مع المتأخر منه
- ٢- المشكلة، وهي الدلالة على الشيء بلفظ غير لفظه لوقوعه مصاحبا لهذا اللفظ
- ٣- المزوجة، وهو أن يترتب شيء على الشرط فيترتب ما يناسبه على الجزء
- ٤- حسن التعليل، وهو توافق علة مختصرة مع أمر ليس معلولا لها على الحقيقة
- ٥- تشابه الأطراف، وهو ختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى
- ٦- السجع، والجناس، والموازنة، ورد الصدر على العجز، وكلها أساليب معروفة تعود أيضا إلى محور التوافق.^{٢٦} ومنها تقصد المحسنات.

وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية الطابفة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي. والمحسنات البديعية ضربان:

- أ- معنوية ترجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا.^{٢٧} وتنقسم إلى سبعة وثلاثين نوعا، منها التورية، والاستخدام،

^{٢٥} الدكتور عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ٥٢

^{٢٦} الدكتور تمام حسان، الأصول دراسة استيمولوجية للفقر اللغوي عند العرب - النحو - فقه

اللغة - البلاغة، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠)، ص. ٣٤٢-٣٤١

^{٢٧} الدكتور عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ٥٢

والاستطراد، والافتنان، والمطابقة، والمقابلة، ومراعاة النظير، والارصاد، والادماج، والمذهب الكلام، وحسن التعليل، والتجريد، والمشاكلة، والمزاوجة، والطبي والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والكلام الجامع، والمبالغة، والمغايرة، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم، وتأكيذ الذم بما يشبه المدح، والإيهام، والتدييح، ونفي الشيء بإيجابه، والقول بالموجب، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والتفريع، والاستتباع، والسلب والإيجاب، والإبداع، والأسلوب الحكيم، وتشابه الأطراف، والعكس.

ب- اللفظي هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ في المقام الأول، وإن كان بعضها يفيد تحسين المعنى أيضا. والعلامة المميزة لهذا القسم، أننا غيرنا اللفظ في المحسن البديعي اللفظي وآتينا اللفظ يرادفه، لزال الحسن اللفظي.^{٢٨} وتنقسم إلى أربعة عشر نوعا، منها السجع. الجناس، والتصحييف، والازدواج، والموازنة، والترصيع، والتشريع، ولزوم ما يلزم، ورد العجز على الصدر، وما لا يستحيل بالانعكاس، والموارية، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، والتسميط، والسهولة. فالسجع هو واحد من علوم البديع، الذي يتحدث في محسنة اللفظية، مناسبة بعنوان هذا البحث، فتحدد الباحثة عن المصطلحات التي يستخدمها لكي لا يقع القارئ على خطأ الفهم بما يقصده الباحث.

^{٢٨} الدكتور أسامة البحيري، تيسير البلاغة علم البديع، (جامعة طن، مرجع سابق طنطا، ٢٠٠٦

د- السَّجْع

١- تعريفه

السَّجْع في اللغة صوت الحمام وهديله،^{٢٩} السَّجْع هو توافق الفاصلتين نثرا في الحرف الأخير.^{٣٠} ويزيد في كتاب البلاغة الواضحة هي وأفضله ما تساوت فقره.^{٣١} السَّجْع: حمامة ساجعة وسجوع، وحمام سُجَّع وسواجع، وسجعت إذا رددت صوتها على وجه واحد، وكذلك سجعة الناقة في حنينها. وسجع فيه وهو أن يأتي بالقرينتين فساعدتا على نهُج واحد.^{٣٢}

وكان رصين التركيب، بعيدا عن التصنع والتكلف.^{٣٣} ومنه السَّجْع؛ وهو: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي: (الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر).^{٣٤} وقيل السَّجْع غير مرتعب مختص بالنثر بل يكون في النظام.^{٣٥} والأصل في السَّجْع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع، زعم هذا فليس الوقوف في السَّجْع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد من السَّجْع، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل أديب من الأدباء سجاعا.^{٣٦} فأما رأي العلماء عن قضية السَّجْع في القرآن الكريم، تخرج بعض العلماء في استعمال السَّجْع ونفي البعض منهم وجوده في القرآن

^{٢٩} الدكتور أسامة البحيري، المرجع نفسه، ص. ١٥١

^{٣٠} علم الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني، مرجع سابق، ص. ١٣٦

^{٣١} علي جارم ومصطفى أمين، مرجع سابق، ص. ٢٧٣

^{٣٢} أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٩٩٨)، ص. ٤٣٩

^{٣٣} نهاد تكرتي، المرجع الكامل في مواد اللغة العربية وشواهداها، (الشام: دار دمشق للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ص. ٣٩٢

^{٣٤} الخطيب القزويني، مرجع سابق، ص. ٣٣١

^{٣٥} الشيخ أحمد الدمنهوري، للشرح جوهر المكنون، (سنقافورة: الحرمين)، ص. ١٧٦

^{٣٦} الدكتور عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ١٥٢

الكريم نفيًا قاطعًا، كالرأي الجمهور على أنه لا يقال في التنزيل اسجاع، تحرزاعن معناه الأصلي الذي هو هدير الحمام، وقال الرماني: السجع عيب، والفواصل بلاغة. قال الخفاجي في سر الفصاحة: قوله هذا غلط، فإنه ان أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن أراد ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله.^{٣٧} وقال الباقلاني كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف، الى أنه مأخوذ من سجع الحمام، وهو هديره وإنما يقال في مثل ذلك فواصل،^{٣٨} أخذًا من قوله تعالى (ءَايَاتُهُ فُصِّلَتْ كُتِّبُ) . وغير ذلك كثير من العلماء الاستعمال عن السجع في كتب الآخر أيضا.

ففي كتاب البلاغة الميسرة أن السجع هو في القرآن كثير، وأما أسجاع الناس فكثير منها متكلف والتكلف منافر للطبع البلاغي.^{٣٩} وفي كتاب تيسير البلاغة "أفضل السجع ما ورد في القرآن الكريم ثم في الحديث النبوي الشريف، لاستيفائه كل شروط الحسن والبلاغة."^{٤٠} ويشرح في كتاب البلاغة العربية "نجد في القرآن سجعا لأن السجع فن من فنون القول فيه اللحم والنغم. وتلحظ في بعض الأحاديث النبوية سجعا مقصودا. غير أن السجع لا يرد في الحديث كما لا يطرد في القرآن، فهو حلية تقصد ولكنها لا تلتزم لأن معنى التزامها أن تصبح المعاني تابعة الالفاظ وليس الأمر كذلك كما تعلمون سواء في القرآن أو في الحديث ولو رحنا نتبع خطب الصحابه والخلفاء الراشدين لرأينا السجع تلتزم في كثير من الأحيان، فإذا تخطينا عصر النبوة وصدر الإسلام إلى الأموي لرأينا الخطباء وكذلك يسجعون أما الكتاب فكانت كتاباتهم موزونه على طريقة السجع وان لم

^{٣٧} السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، *انوار الربيع في انواع البديع*، (مطبعة النعمان-النجف الأشرف، ١١٢٠)، ص. ٢٥٣

^{٣٨} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص. ٣٦٣

^{٣٩} عبد العزيز بن علي الحربي، *البلاغة الميسرة*، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١١)، ص. ٨٢

^{٤٠} الدكتور أسامة البحيري، مرجع سابق، ص. ١٦٠

تلتزم فيها القافية من مثل قول عبد الحميد بن يحيى (ثم اياك أن يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضحك التي يستخف بها البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها أهل الحسد مقالا لعب يرغونه ولطع في حق يجحدونه... الخ. الرسالة منشورة في رسائل البلغاء).^{٤١} وفي كتاب علم البديع من استحسنة ودافع عنه محتجا بأنه لو كان مذموما لكا ورد في القرآن الكريم، حيث لا تكاد سورة تخلو منه، بل ان من سورة ما جاءت جميعها مسجوعا كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما. كذلك يحتجون بأن الصنعة والتكلف والتعسف ليست أمورا مقصورة على أسلوب السجع، وإنما هي أمور من الجائز أن تلحق بالسجع كما تلحق بغيره من الأساليب، وليس العيب في السجع ذاته وإنما العيب فيمن يحاوله ثم يعجز عن حسن استخدامه. ولعل عبد القهار الجرجاني خير من فصل في هذه القضية، فهو يقرر في معرض الكلام عن التجنيس والسجع أنهما يختصان بالقبول والحسن عندما يكون المعنى هو الذي يقود المتكلم نحوهما، لا أن يقوده إلى المعنى حتى أنه لو تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس ولا سجع فيه لنسب إليه ما ينسب إلى المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر.^{٤٢} وقول ضياء الدين ابن الأثير "السجع عنده يختص بالكلام المنشور، وعرف بأنه تواطؤ الفواصل في الكلام المنشور على حرف واحد. وهو يطيل القول فيه على أساس أنه قد أصبح سمة من سمات الرسائل، كما يسمى فواصل القرآن المتحدة في الروي أسجاعا، متخذا من دليله على أن السجع أعلى درجات الكلام.^{٤٣} وقول السكاكي في كتاب مفتاح العلوم " ومن جهات الحسن الاسجاع: وهي في النثر، كما في القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية، والكلام في ذلك ظاهر.^{٤٤}

^{٤١} مصطفى الصاوي الجويني الاسكندري، البلاغة العربية، (مكتبة الاسكندرية، ١٩٨٥)، ص. ١٩٣

^{٤٢} عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ١٥٧

^{٤٣} المرجع نفسه، ص. ٣٢٠

^{٤٤} الإمام يوسف السكاكي، مرجع سابق، ص. ٤٣١

والسجع في كلام الإعراب الذي أثر عنهم كثير جدا. وهكذا نرى انه بينما كان السجع كثيرا في الجاهلية، وكان يغلب على النثر في عصر النبوة، أخذ سلطانه يضعف قليلا في العصر الأموي وان حرص عليه القصاص والخطباء وناقل أحاديث الاعراب، ثم أخذ ويسترد قوته في أواخر القرن الثاني وبدأنا نرى رسائل يكاد يلتزم فيها السجع ثم القرن الرابع الهجري يستفيض السجع ليعمم بعد ذلك طوفانه الأدب العربي فيصبح الأدب في معظمه أدب زينه لفظية، وتفصيل هذا في درس التاريخ الادبي والذي يهمننا هنا بعد هو موقف علماء البلاغة من السجع: الجاحظ في البيان التبيين / الخفاجي في سر الفصاحة / أبو هلال العسكري في الصناعتين / ابن الاثير في المثل السائر قدامه بن جعفر في نقد الشعر / والباقلاني في اعجاز القرآن وهم بين محبذ للسجع وذام له... تم أخيرا.^{٤٥} السَّجْع طريقة في الإنشاء سارت منذ القدم في النثر العربي وراجت كثيرا في عصور التنميق مع ما راج من محسنات بديعية. وهي تقوم على اتفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التقفية. وقد تفنن الكتاب كثيرا في استعماله.

٢- أنواعه

أ- المرصع وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية.^{٤٦} المرصع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية.^{٤٧} المرصع وهو يتحقق إذا كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ وأكثرها ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية.^{٤٨} الترصيع وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو

^{٤٥} مصطفى الصاوي الجويني الاسكندري، مرجع سابق، ص. ١٩٤

^{٤٦} الدكتور إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني،

(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ص. ٥٧٨

^{٤٧} أحمد مصطفى المراغي ص. ٣٦٠

^{٤٨} الدكتور عتبدك عبد العزيز قلقيلة، مرجع سابق، ص. ٣٥٦

صدر البيت بلفظه على وزنها ورويها.^{٤٩} وذكر أبو هلال العسكري نوعا من
الترصيع بقوله: هو أن يكون حشو البيت مسجوعا.^{٥٠} **إِن إِلَيْنَا إِلَهُكُمْ** ﴿٢٥﴾
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾، الغاشية: ٢٥-٢٦

ب- والمتوازي ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرين.^{٥١} المتوازي هو ما اتفقت
فيه اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي.^{٥٢} المتوازي هو ما
اتفقت فيه الفاصلتان في الوزن والقافية.^{٥٣} كقوله تعالى: **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا**

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ **أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** ﴿٨﴾، سورة الرحمن: ٧-٨
ج- والمطرف ما اختلفت فاصلته في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير.^{٥٤} المطرف
وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويًا، وذلك بأن يرد
في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيا وبشرط أن يكون رويها روي
القافية.^{٥٥} المطرف وهو أن اختلفا في الوزن.^{٥٦} كقوله تعالى: **وَإِذَا الْقُؤُومَهَا**
مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ **لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا**
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾، سورة الفرقان: ١٣-١٤

^{٤٩} عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص ١٥٣.

^{٥٠} الدكتور محمد عبد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، مرجع سابق، ص ١٠٧.

^{٥١} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص ٣٦٠.

^{٥٢} الدكتور محمد عبد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، مرجع سابق، ص ١٠٨.

^{٥٣} الدكتور أسامة البحيري، مرجع سابق، ص ١٥٢.

^{٥٤} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص ٣٦٠.

^{٥٥} عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص ١٥٣.

^{٥٦} للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، **التلخيص في علوم البلاغة**، (دار الفكر العربي،

ولكن يزيد البلاغيون قد وقفوا مما في الشعر في تقسيم السجع عند نوعين اثنين

سموهما:

د- التشطير فهو أن يُجعل في كل من شطري البيت سجعه مخالفة لأختها.^{٥٧}
السجع المشطور ويسمى أيضا التشطير، وهو أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني. وهذا القسم خاص بالشعر.^{٥٨} التشطير هو أن يُجعل في كل شطر من البيت سجعه مخالفة للتي في الشطر الآخر.^{٥٩}
كقول صفي الدين الحلبي: بكل منتمر للفتح منتظر وكل مغترم بالحق ملتزم.
فأخوذ من مصرعي الباب عن التصريح.

ه- التصريح وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب،^{٦٠} والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت والضرب آخر المصراع الثاني منه.^{٦١} لكنه لا يستحسن إلا في المطالع تمييزا لها عن غيرها، وليعرف منذ الشطر الأول روي القصيدة وقافيتها.^{٦٢} ومن المصراع مطلعا وغير مطلع قول أبي تمام:

ألم يأن أن تروي الظماء الهوائم وأن ينظم الشملى المبدد ناظم.

و- الموازنة هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية،^{٦٣} وهذا النوع أي الكلمتان الأخرتان من الفقرتين كما في الآية أو المصراعين. السجع المتوازن وهو أن تتفق الفاصلتان في وزن واحد دون تقفية، وبعضهم لا يعتبر هذا النوع من السجع.^{٦٤} كقول تعالى في سورة الغاشية الآية ١١٨: وَمَمَّارِقُ

^{٥٧} الدكتور عتبدك عبد العزيز قليقة، مرجع سابق، ص. ٣٥٨

^{٥٨} عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص. ١٥٤

^{٥٩} الدكتور أسامة البحيري، مرجع سابق، ص. ١٥٧

^{٦٠} الدكتور عتبدك عبد العزيز قليقة، مرجع سابق، ص. ٣٥٩

^{٦١} للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. ٤٠٢

^{٦٢} الدكتور عتبدك عبد العزيز قليقة، مرجع سابق، ص. ٣٥٩

^{٦٣} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص. ٣٦٤

^{٦٤} الدكتور إنعام فوال عكاوي، مرجع سابق، ص. ٥٧٨

مَصْفُوفَةٍ، وَذَرَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ. وهذا أحد من أنواع السجع، فإن السجع قد يكون من اتفاق الأواخر واتفاق الوزن، وقد يكون مع اختلاف الأواخر لا غير، فإذا كل موازنة فهي سجع، وليس كل تسجيع موازنة، فالموازنة خاصة في اتفاق الوزن من غير اعتبار شريطة.^{٦٥} فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة.^{٦٦} كقوله تعالى في سورة المدثر الآية ٣: وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

اعلم أن هذا النوع من علوم البلاغة كثير التدوار عظيم الاستعمال في ألسنة البلغاء، ويقع في الكلام المنثور وهو في مقابلة التصريح في الكلام المنظوم الموزون في الشعر كما سنقره، ومعناه في ألسنة علماء البيان: "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في مجموعهما" كما سنفصل أنواعه، واشتقاقه من قولهم: "سَجَعْتُ النَّاقَةَ": إذا مددت حينها على جهة واحدة، ومنه: "سجع الحمامة": إذا هدرت، فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن، سمي المتوازي، وإن اتفقا في الأعجاز من غير وزن، سمي المطرف، وإن اتفقا في الوزن دون الحرف، سمي المتوازن. فإذا تقررت هذه القاعدة فلنذكر جمه في الاستعمال ثم نذكر شروطه، ثم نردفه بذكر أقسامه، ثم نذكر أمثله، فهذه فوائد أربع انفصلها بمعونة الله تعالى.^{٦٧}

^{٦٥} الإمام يحيى بن حمزة اليماني، مرجع سابق، ص. ٣٣

^{٦٦} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص. ٣٦٤

^{٦٧} الإمام يحيى بن حمزة اليماني، مرجع سابق، ص. ١٧

٣- أقسامه

إن السجع على اختلاف أقسامه يأتي على ضربين من حيث القصر والطول. فالسجع القصير هو ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل أو الفقرات المسجوعة من سمع السامع. وهذا الضرب أو عر السجع مذهبا وأبعده متناولا، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا. أما الضرب، وأعني به السجع الطويل فهو ضد الأول لأنه أسهل تناولا، وإنما كان القصير من السجع أو عر مسكلا من الطويل، لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز تحقيق السجع فيه لقصر تلك الألفاظ، وضيق المجال في استجلا به. وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه، ويستجلب له السجع. وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظه.^{٦٨} فأما القصير : فهو أو عر أنواع التسجيع مسلكا، وأصعبها مدركا، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع؛ لأن الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرق؛ لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها، ومن هذا النوع القصير.

وأما الطويل: فهو ما عدا ذلك، زكلما قلت كلماته وقرب من التعبير كان أحسن لما ذكرناه، وقد تكون السجعتان ثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، وخمسا خمسا، وقد تزيد على ذلك حتى تنتهي إلى عشرين كلمة، ومع ذلك فليس له حدّ مضبوط. فإذا عرفت هذا، فاعلم أن أعداد ألفاظ الفقرة، وإن كانت على هذه العدة، لكنها منقسمة بالإضافة إلى الأولى والثانية إلى ما تكون الفقرة الأولى مساوية للثانية، وإلى ما تكون الأولى زائدة على الثانية وإلى ما تكون عكس هذا، فذه أضرب ثلاثة، فهذا تقرير تقسيم السجع على ما ذكرناه من هذه الضروب، فالضرب الأول هو أعداها، والضرب الثالث أبعدها، والضرب الثاني أوسطها في التعديل، ولا يكاد يوجد، الضرب الثالث في القرآى، وإنما الكثير فيه هما

^{٦٨} الدكتور عبد العزيز عتيق، مرجع سائق، ص. ١٥٥-١٥٦

الضريان الآخران لما ذكرناه من العيب فيه، وكتاب الله منزّه عنه.^{٦٩} وقد استدرّك القزويني على العلوي يزيد قسم السجع هو السجع المتوسط.^{٧٠}

٤ - حكم في استعماله

وفيه مذهبان:

المذهب الأول: جوازه وحسنه، وهذا هو الذي عوّل عليه علماء أهل البيان، والحجة على ذلك هي أن كتاب الله تعالى وألسنة النبوية، وكلام أمير المؤمنين مملوء منه، وكلام البالغ في الفصاحة كل مبلغ، ولأجل كثرته في ألسنة الفصحاء لا يكاد بليغ من البلغاء يرتحل خطبة ولا يحرر موعظة إلا ويكون أكثره مبنيًا على التسجيع في أكثره، وفي هذا دلالة قاطعة على كونه مقولًا مستعملًا في ألسنة الفصحاء في المقامات المشهورة والمحافل المعهودة.

والمذهب الثاني: استكراهه، وهذا شيء حكاه ابن الأثير، ولم أعرف قائله ولا وجدته فيما طالعت من كتب البلاغة، ولعل الشبهة لهم استكراهه ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أوجب في الجنين عُزَّةً، عبداً أو أمة، فقال الذي أوجبها عليه: كيف تدي من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، ومثل ذلك بطل، فقال صلى الله عليه وسلم: "أَسْجَعًا كَسَجْعِ الْكُهَّانِ" فأنكر السجع على من تكلم به، وفي هذا دلالة على استكراهه.

والجواب أنا نقول: إنه لم ينكر السجع مطلقاً، وإنما أنكر سجعا مخصوصا وهو سجع الكهان؛ لأن أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية، والأوهام الظنية، على جهة السجع وتطابق أعجاز الألفاظ كما تراه يحكي عن شق وسطيح، وغيرهما من الكهان.

^{٦٩} الإمام يحيى بن حمزة اليماني، مرجع سابق، ص. ١٧

^{٧٠} الدكتور إنعام فوال عكاوي، مرجع سابق، ص. ٣١١

والمختار: قبوله، ولو لم يكن جائزا في البلاغة لما أتى عليه أفصح الكلام وهو التنزيل، ولما جاء في الكلام سيد البشر، وكلام أمير المؤمنين؛ لأن هذه هي أعظم الكلام بلاغة وأدخلها في الفصاحة، فلا يمكن ترك هذا الأسلوب من كلام لقصة عارضة من جهة الرسول يمكن حملها على وجه لائق كما أشرنا إليه.^{٧١}

٥ - في بيان شروطه

اعلم أن المقصود بالتسجيع في الكلام إنما هو اعتدال مقاطعه وجريه على أسلوب متفق؛ لأن الاعتدال مقصد من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتشوق إليه النفس، لكنه لا يحسن كل الحسن، ولا يصفو مشربه إلا باجتماع شرائط أربع:

الشريطة الأولى: ترجع إلى المفردات، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق، رطبة طنانة، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ سماعها على الآذان، مجنبة عن الغثاثة والرداءة، ونعني بالغثاثة والرداءة: أم الساجع يصرف نظره إلى مؤاخاة الأسجاع وتطابق الألفاظ، ويهمل رعاية حلاوة اللفظ وجودة التركيب وحسنه، فنعد هذا تمسه الرداءة، وتفارقه الحلاوة ويصير فيما جاء به بمنزلة من ينظم عقدا من خزف ملون، أو ينقش بألوان الصباغ ثوبا من عهن، فهذه الشريطة لا بد من مراعاتها، وإلا وقع مهملها فيما ذكرناه.

الشريطة الثانية: راجعة إلى التركيب، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهرة التسمية، وباطنة التشوية، ويصير مثاله كمثل عُمد من ذهب على نُصْب من خَشْب، أو كرة محلاة أو بكرة مذهبة مطلية، ومثال ذلك: أنك إذا تصورت في نفسك معنى من المعاني، فإنك إذا أردت أن تصوغة بلفظ مسجوع ولم يواتك ذلك، ولا سمحت قريحتك به إلا بزيادة في ذلك الزيادة، وإنما تأتي بالزيادة والنقصان من لأجل تسوية السجع وإظهار جوهره لا من أجل المعنى،

^{٧١} المرجع نفسه، ص. ١٧

فما هذا حاله هو الذي يدم من التسجيع ويقبح، لما يه من إصلاح اللفظ دون المعنى، ولما فيه من تكلف والتعسف المستغنى عنه، فأما إذا كان من غير تكلف فإنه يأتي في غاية الحسن.

الشريطة الثالثة: أن تكون تلك المعاني الحاصلة عن التركيب مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة، ولا وكيكة مستبشعة؛ لأنها إذا كانت غريبة نفرت عنها الطباع وكانت غير قابلة لها، وإذا كانت ريككة مجتهدا الأسماع، فكل واحدة من السجعتين دال على معنى حسن بانفراده، لكن انضمام إحداهما إلى الأخرى هو الذي ينافر من أجل التركيب.

الشريطة الرابعة: أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذي دلت عليه الأخرى؛ لأنه إذا يكون من باب التكرير فيكون على هذا لا فائدة فيه، فهذه الشرائط الأربع لا بد من اعتبارها في كل كلام مسجوعا.^{٧٢}

لا يحسن السجع إلا اذا استوفى أربعة أشياء:

- ١- أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع.
- ٢- أن تكون الألفاظ خدم المعاني، إذ هي تابعة لها، فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ، أو نقصان فيه، فاعلم أنه من التكلف المقوت.
- ٣- أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة. أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكرارا بلا فائدة.

ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاما يخلو منه كما لا تخلو منه سورة، وإن قصرت، بل ربما وقع في أوساط الآيات.^{٧٣} ففي الحديث تقسيم لجمل الحديث، وفيه سجع: ((غدر))، و ((فجر))، فكونه متوازيا، يعطي إيقاعا جميلا أو نغما رتبيا. فهذا الحديث من جوامع الكلام، فقد استوفى

^{٧٢} المرجع نفسه، ص. ١٧

^{٧٣} أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ص ٣٦٠

الأخلاق الظاهرة والباطنة للمنافق، فهو يجذر من خصال السوء: وأفعالا، وأخلاقا، وفي هذا زجر لكل مسلم أن يتعد عن هذه الخصال القبيحة، والصفات الذميمة.^{٧٤}

^{٧٤} الدكتور غالب محمد محمود الشاويش، *البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق*، (القاهرة: مكتبة